الجمعية الجغرافية

الملكية المصرية

نجيب مطران

من مآثر المغفور له الخديو اسماعيل الخالدة عنايته بالبحوث الجغرافية التي كانت تجري في افريقيا لا سيما في الجهات التي كشفت من منطقة منابع النيل فأنشأ الجمعية الجغرافية الخديوية في ١٩ مايو سنة ١٨٧٥ لتكون دار محفوظات لما يجمع هناك من الآثار والتحف الثمينة ويُرجع اليها من يريد البحث والاستقصاء وأسند أعمالها الى الرحالة والعلامة الشهير شوينفورت الذي كان دائماً منذ لأ بالعلماء والكاشفين وكان يوجه اهتمامه الى البحث وتشجيع العلوم التي لها صلة بالجغرافية عموماً ولا سيما جغرافية القطر المصري والبلاد المجاورة

وفي اول عهدها تلقت الجمعية بحوثاً من الرحالين الذين رادوا مجاهل افريقيا مستكشفين وهم ستانلي وبرتون وبيكر وجسي وماسون وبياجا ورولفس وبوردي ، فدونت هذه الرسائل في مجلة كانت تصدرها سنوياً . فأصدى الخديو اسماعيل بانشائه هذه الجمعية خدمة لا ينساها التاريخ الى العلوم الجغرافية التي تتعلق بأفريقية والسودان والقطر المصري . وفي ذلك العهد اشتركت هيئة اركان حرب الجيش المصري والقائمقام محمد مختار بك والامير الاي محمد صديق بك ومحمود الفلكي باشا في الاستكشافات الجغرافية وأرسلوا نتائجها الى الجمعية

وفي سنة ١٨٨١ خصصت الجمعية للاعمال الجغرافية الخاصة بمصر التي رفعت اليها من العلماء فورتو والسر وليام جرستين وبونولا بك وكانوا يدوّنون بحوثهم في مجلتها

وفي سنة ١٨٩٨ أنشأت الجمعية المجموعة الاثنوغرافية الاولى باقتناحها قسماً تعرض فيه قطع الفنون الشعبية الخاصة بالسودان فكان الرحالون المسافرون الى تلك الجهة يقدمون الى الجمعية عند عودتهم هدايا تشمل قطعاً سودانية قديمة وأشياء حديثة يستعملها سكان تلك البلاد وقبائلها . وخلف الدكتور شوينفورت في رئاسة الجمعية الجنرال ستون باشا في ١١ ديسمبر ١٨٧٩ فاسماعيل ايوب باشا في ١٥ يناير ١٨٨٣ فمحمود الفلكي باشا في ١١ ديسمبر ١٨٨٣ فسمو الامير عباس حلمي (الخديو عباس الثاني) في ٢٢ مارس ١٨٨٩ فالدكتور اباته باشا في سنة ١٨٩٠ فسمو الامير فؤاد (الملك فؤاد) في ٣٠ اكتوبر ١٩١٥ فاسماعيل صدقي باشا في ١٥ ابريل

سنة ١٩١٨ فالاستاذ فوكار في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٨ ثم الدكتور هيوم في ١٧ نوفمبر ١٩٢٦

ولما شرف المغفور له الامير احمد فؤاد بالملك فؤاد الاول الجمعية برآسته في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٥ أحيى اعمالها فكان يحضر جلسات مجلس ادارتها وله الفضل العظيم في اصدار قانونها وتنظيم منحفها وما يحويه من خارطات ثمينة وغيرها وأصبح مقامها العلمي والأدبي في الذروة فانتقلت في سنة ١٩٢٥ الى مقرها الحالي الذي يليق بها فهو مبنى فسيح الارجاء وقد انعقد فيه المؤتمر الدولي الجغرافي وهو فاتحة عهد جديد للمؤتمرات الكبيرة في مصر

وكان للمغفور له الملك فؤاد ميل شديد الى اعلاء شأن الجمعية فمنذ ما تولى عرش مصر شملها بعنايته السامية حتى ضمن لها نشاطاً متواصلاً وأصبحت تعد الهيئة العلمية الأولى في القطر المصري ومن ذلك العهد بدأت الجمعية تصدر كل سنة نشرتها في أربعة أجزاء ونشرت كذلك كتباً في جغرافية مصر بقلم الأمير عمر طوسون والاساتذة دي لارنسير وريموندي وجوبديه وبوردون وجوتيه وهي مؤلفات لا يستغني عنها باحث في علم الجغرافيا ، ووهب الملك فؤاد الجمعية مكتبة محمود الفلكي باشا ومكتبة الأمير حيدر فاضل وهي تشمل عشرة آلاف مجلد وعدداً كبيراً من الخارطات القديمة والكتب القيمة وأيضاً مجموعة نفيسة مؤلفة من ٦٠٠ خارطة محفوظة في علب فاخرة أحرزها الامبراطور نابليون بونابرت

وقد بدأت الجمعية في طبع مجموعة خاصة من بحوثها لم تنشر حتى الآن في عهود محمد علي باشا وعباس الأول واسماعيل باشا وتوفيق باشا مأخوذة من محفوظات حكومات فرنسا وانكلترا وايطاليا وأميركا والبرتغال ومصر . وكان للملك فؤاد يد في طبع كل ما يتعلق بتاريخ هذه العهود . وقد ابتدأ طبع المجموعة المذكورة في سنة ١٩٢٥ ويطبع منها كل سنة ستة مجلدات أو سبعة وسيكون لهذه المجموعة شأن عظيم في اظهار تاريخ مؤسسي البيت المالك في مصر

ولما سافر الملك فؤاد وجهه الله الى واحة سيوه جاء بتحف ثمينة مختلفة الانواع وأهداها الى الجمعية الجغرافية الملكية لتعرضها في منحفها . وفي ايامه الاخيرة ارسل اليها مجموعة نفيسة من أسلحة ودروع قديمة وملابس عسكرية وسيوف ورماح وأقنعة للخيل والجمال وخيمة من الجلد وأثاث نفيسة وهذه التحف كانت تزين منحف الاسلحة بقصر عابدين العامر . وقد أصدر مولانا الملك المعظم فاروق الاول أمره الكريم بأن يتسلم المنحف الحربي هذه المجموعة هدية من جلالته

ويخدو صاحب الجلالة الملك فاروق حذو والده المعظم فقد أمر حفظه الله بالاستمرار في طبع الوثائق التاريخية التي كان يرعاها الملك فؤاد عنايته ايها . وقد أهدى الملك الى الجمعية قارة ارضية صغيرة من الفضة المذهبة اقتناها جلالته في لندن ويرجع تاريخها الى عهد جورج الثاني ملك الانجليز . وأهدى الى الجمعية ايضاً مجموعة نفيسة من أسلحة سودانية

قديمة. وعند ما زار جلالته ادارة صندوق الدين لاحظ وجود خارطة عامة لافريقيا وضعتها هيئة اركان حرب الجيش المصري تحت اشراف الكولونيل لوكت في سنة ١٨٧٧ فأمر جلالته بارسالها الى الجمعية الجغرافية الملكية فتقبلتها الجمعية شاكرة اهتمام جلالته بها

وتشترك الجمعية الجغرافية الملكية مع جمعيات العالم الكبرى كالجمعيات الجغرافية الفرنسية والانكليزية والاميركية والبلجيكية في تصنيف المعجم الجغرافي الدولي وتضع الجمعية كل سنة كشفاً يحوي المؤلفات الجغرافية التي تصدر وينشر هذا الفهرس في مجلتها

وكان يتولى رآسة الجمعية العالم النقدير الدكتور هيوم وهو صاحب مؤلفات هامة في علم تقويم البلدان وخصائص الارض نذكر منها كتابه « الجيولوجيا » الذي يطبع الآن . وكذلك مؤلف آخر ضخم «جيولوجية القطر المصري» في اجزاء متعددة لم يتم طبعه للآن . ومؤلفاته مرجع للعلماء . ومن نوادر شهرته العلمية ما حدث له من ثلاث سنوات في لندن وقد أراد شراء كتاب يبحث عن الذهب فدخل مكتبة عظيمة وسأل عنه فبحث البائع عنه ولم يهتد الى شيء ثم فكر هنيهة وأشار على المشتري بان يقتني كتاب الدكتور هيوم المستشار الفني لقسم الجيولوجي المصري ورئيس الجمعية الجغرافية المصرية !

ويشرف على شؤون الجمعية في الوقت الحاضر رجل من رجالات مصر البارزين وقطب ممتاز في الأوساط العلمية والرياضية والسياسية وهو صاحب المعالي احمد حسنين باشا رئيس ديوان جلالة الملك . ومعاليه اول رحالة مصري حديث. وقد اثارت مكتشفاته الجغرافية والجيولوجية والانثوغرافية والتاريخية والطبية اهتمام العالم بأسره بعد رحلته الموفقة من السلوم على الساحل الى الأبيض بالسودان مارًّا بسيوه والكفرة ومكتشفاً واحتي اركنو والعوينات[1] ثم على أثر ظهور كتابه الذائع الصيت « الواحات الضائعة » وقد كتب مقدمته السير رنل رود فأثنى فيها على اعمال معاليه وهي تستحق تقدير العالم لما اسداه من خدمات جليلة لوطنه وللعلم. وقد مشى معاليه نحو عامين وهو يبحث ويدون ويسجل ويرسم ويعاين ويكتب تلك المعلومات النفيسة عن هذه الصحراء القاحلة مستهيناً بأخطارها وأهوالها ولم يثنه عن عزمه القيظ او البرد ولم يفكر لحظة واحدة في العدول عن هذه الرحلة الخطيرة التي تعرض فيها لفتك الحيوانات المتوحشة وخطر الامراض والاوبئة . وقد تغلب معالي حسنين باشا بقوة عزمه وتجلده على جميع هذه العقبات بفضل ما امتاز من روح التضحية والتفاني في خدمة العلم

وقد وافق ملك الانكليز في سنة ١٩٢٤ على منح حسنين (بك) وسام المؤسسين للجمعية الجغرافية الملكية جزاء له على رحلته . ومنحته الجمعية الجغرافية الاميركية كذلك أعلى أوسمتها ويستقبل الداخل الى دار الجمعية الكائنة بحديقة وزارة الاشغال العمومية بجوار الجامعة

(١) راجع اول رائد مصري حديث . الهلال يونيو ١٩٢٥ صفحة ١٠٨ ويوليو صفحة ١١٧-١٢٥

الأميركية سواء من بابها الشمالي أو من بابها الجنوبي تمثال الخديو اسماعيل مؤسس الجمعية الجغرافية الملكية فكأنه يحيي جميع من يسترشد بهديه ويستنير بعلمه. ولا يسع الزائر إلا أن يحيي في تمثاله الشخصية الفذة في ضروب العلم والسياسة. وفي دار الجمعية معرض للخارطات الجسيمة لمدن بورسعيد وبور توفيق وبور فؤاد والقاهرة والفيوم وخارطتان كبيرتان لميناء الاسكندرية وحوض النيل ومجموعة ممتازة من الصور والمناظر الشمسية ذات شأن عظيم

وهناك قسم خاص بقناة السويس يحتوي على منظر متحرك لباخرة تعبر القناة يخيل للناظر اليها انها واقعية لا تُرى الباخرة تجتاز القناة وعلى جانبيها مناظر جميلة كالأشجار ومراكب الصيد والجبال والصخور وغيرها. ومناظر اخرى غير متحركة لمدن الاسماعيلية وبور سعيد وبور توفيق ورصيف ارض في قناة السويس ومنظر يمثل الامبراطورة اوجيني تتنسم الهواء على ظهر اليخت الامبراطوري «النسر» وهو السفينة الاولى التي اجتازت القناة وكان يرافق الامبراطورة فرديناند دي لسبس وحاشيتها. ويرى زائر هذا القسم تمثالاً برونزياً لفرديناند دي لسبس قائماً على مقعد من الجرانيت منحل بمقعد آخر من الخشب الثمين مكتوب عليه تاريخ ميلاده ووفاته، وخزانة عرض فيها مؤلف الاستاذ نيكول «اليوم رحلة الملوك»: وقد نشر بمناسبة افتتاح قناة السويس تحت رعاية سمو الخديو اسماعيل في سنة ١٨٦٩ ومؤلفات اخرى عن القناة ومجموعة نياشين ضربت في ذلك العهد من الذهب والفضة والنحاس والبرونز

وللجمعية بهو كبير للمحاضرات يلقي فيها رجال جامعة فؤاد الاول محاضرات عامة ويبتدئ موسم المحاضرات في شهر نوفمبر وينتهي في منتصف مارس ويلقي كذلك فيها العلماء او الاعضاء محاضرات اخرى باشراف الجمعية. وهذا البهو آية من الآيات ومتحف من تحف الفن والزخرف وهو مزين بتماثيل للعظماء هم محمد علي باشا وابراهيم باشا واسماعيل باشا والملك فؤاد. وقد دهش مندوبو الدول حين انعقاد المؤتمر الجغرافي الدولي في سنة ١٩٢٥[1] لحسن تنسيقها وجمال رسومها ونقوشها العربية المموهة بالازرق والذهبي. ورأت مصلحة البريد أخيراً أن توسم هذا البهو وتريد مفاتحة وصلح آلات الصوت فيه وهو أمر لا بد منه. وقد تمت هذه الاصلاحات. وأما مكتبة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية فتعد من المكتبات النفيسة اذ تحوي ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ مجلد خاص بالعلوم الجغرافية للبلدان عموماً ومصر خصوصاً. والجمعية تراسل ٢٥٠ جمعية علمية ويصلها ٣٠٠ مجلة من جمعيات العالم ويزور دارها يومياً عامة مدرستين أو ثلاث فضلاً عن كبار الزوار الآخرين

وكفى بما اوردناه دليلاً ساطعاً وبرهاناً قاطعاً على أن جمعيتنا الجغرافية الملكية أصبحت من أعظم الجمعيات العلمية تقدماً وتعد من اكبر جمعيات أوربة وأميركا في العلوم الجغرافية

(١) راجع المقتطف مج ١٩٢٥ صفحة ٥٠٦—٥٣٣